*التشبيه والتمثيل (1)*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ *أيمن محمد أبو بكر*

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*ayman.abobakr@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في التشبيه والتمثيل**

**الكلمات المفتاحية : الظهور ، التشبيه ، ضرب**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن التشبيه والتمثيل**

1. **عنوان المقال**

**وينتقل الإمام عبد القاهر، إلى التشبيه والتمثيل، ويلاحظ أن التشبيه على ضربين: ضرب عادي لا يحتاج إلى تأول، كتشبيه الخدود بالورد، والشعر بالليل، وبعض الفواكه بالعسل، وبعض الأقمشة بالحرير، وبعض الروائح بالمسك، وكتشبيه الرجل بالأسد، وضرب غير عادي؛ وهو الذي يفتقر إلى شيء من التأول، كتشبيه الحُجَّة في الظهور والوضوح بالشمس، ويتفاوت هذا الضرب تفاوتًا شديدًا، إذ منه ما يقرب مأخذه، مثل قولهم: ألفاظه كالماء في السلاسة، يريدون أنه سلس لا تكدُّ اللسان، كالماء السائغ في الحلق، ومنه ما يفتقر إلى فضل من فطنة وتأمل، كقول بعضهم -وقد سئل عن بني المهلب-: هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها، يريد أنهم متساوون في النبل، والجود، والشجاعة.**

**ويقول: "إن التشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلًا".**

**ويأخذ في سرد طائفة من الأمثلة التي لا تدخل في التمثيل، ويؤخذ من مجموع كلامه: أن التمثيل يختصُّ بالتشبيهات المركبة، التي يكون فيها وجه الشبه عقليًّا، منتزعًا من عدة أمور يُجمع بعضها إلى بعض، ثم يُستخرج من مجموعها، كالآية الكريمة:** {ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ} **[الجمعة: 5]، فإن وجه الشبه فيها عقليٌّ، وهو حرمان الانتفاع بشيء نفيس، مع التعب والعناء في استصحابه.**

**ويمثل عبد القاهر هنا للتشبيه المعقود على أمرين، بقولهم: هو يصفو ويكدر، وواضح أن هذا المثال، من باب الاستعارة المكنية؛ إذ أضيفت إلى الشخص لازمتان من لوازم الماء، هما الصفو والكدر، ويقرن بالآية أيضًا قولهم: أخذ القوس باريها، وهو من باب الاستعارة التمثيلية، ويلاحظ أن التشبيه التمثيلي لا يحصل إلا في جملة من الكلام، أو جملتين أو أكثر، وهذا طبيعي؛ لأن طرفي التشبيه فيه مركبًا.**

**وإنما ساق ذلك؛ ليحترز من التشبيه المتعدد، والخلط بينه وبين التمثيل، وهو يصور في أثناء ذلك -بما ساقه من شواهد وتحليلات- تأثير التمثيل في الموضوعات، والمواقف المختلفة، ومدى فعله في نفوس السامعين، ويمضي فيضرب لذلك أمثلة كثيرة، يدل بها على أن النفوس تأنس حين تنتقل بالتمثيل من خفي إلى جلي، ومن مجهول لها إلى معلوم، ومن معقول إلى محسوس، ويتمثل بقولهم: ليس الخبر كالمعاينة، ولا الظن كاليقين.**

**ويقول أيضًا: "فإنك تردها بالتمثيل إلى ما ألفته، وقد قيل: ما الحب إلا للحبيب الأول".**

**وهو مع ذلك يمزج بين ذوق مرهف أصيل، يعرف مواقع الكلام وتأثيره، وبين ذهنٍ نافذٍ حصيف.**

**ويلاحظ عبد القاهر، أنه كلما كان المشبه به في التمثيل الذي لا يحتاج فيه إلى إثبات وبرهان على شيء يمتنع غريبًا نادرًا، كان ذلك أوقع في النفوس، وأمتع للعقول.**

**ويعمِّم عبد القاهر هذا القياس في التشبيه بجميع صوره، فكلما اشتدَّ التباعد بين الشبيهين؛ كان ذلك أمتع للعقول، وأطرب للنفوس.**

**ويقول: "إن التشبيهات قد تفقد طرفتها؛ لكثرة استعمالها وشيوعها في الناس، حتى تصبح مبتذلة، كتشبيه العيون بالنرجس، ومن أجل ذلك كانت التشبيهات الخاصة المبتكرة التي يقع عليها الأدباء، هي التي تؤثر في النفوس تأثيرًا عميقًا؛ لطرافتها، وهي طرافة تُرد في أكثر الأمر إلى البعد الشديد بين جنسي المشبه والمشبه به".**

**ويطيل النظر في تحليلاته، ويستشهد بقول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ولازوردية تزهو بزرقتها** | **\*** | **بين الرياض على حمر اليواقيت** |
| **كأنها فوق قامات ضعفن بها** | **\*** | **أوائل النار في أطراف كبريت** |

**ويستشهد كذلك بقول البحتري:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **دان على أيدي العفاة وشاسع** | **\*** | **عن كل ندٍّ في الندى وضَريبِ** |
| **كالبدر أفرط في العلو وضوؤه** | **\*** | **للعصبة السارين جد قريبِ** |

**ويستشهد كذلك بقول عدي بن الرقاع، في ظبية:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **تُزْجِي أَغَنَّ كَأَنَّ إبْرَة َ رَوْقِهِ** | **\*** | **قلمٌ أصابَ منَ الدواة ِ مدادها** |

**وقول امرؤ لقيس:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **حَمَلْتُ رُدَينيّاً كَأَنَّ سِنَانَهُ** | **\*** | **سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ** |

**وقول قيس بن الخطيم:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وقدْ لاحَ في الَصُّبْحِ الثُّريَّا لمَنْ رأى** | **\*** | **كَعُنْقُودِ مُلاَّحِيّة ٍ حِينَ نَوَّرا** |

**وقول ابن المعتز:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **كأن عيون النرجس الغضِّ حولها** | **\*** | **مداهِنُ درٍّ حشوُهن عقيقُ** |

**وقوله أيضًا في تصوير الصباح:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **غدا والصبح تحت الليل بادٍ** | **\*** | **كطرف أشهب مُلقَى الجلال** |

**ويقف عبد القاهر بعد كل ذلك عند التشبيهات المركبة، التي يُعتمد فيها وجه الشبه على الهيئات، ويقول: "اعلم أن مما يُزاد به التشبيه دقة وسحرًا؛ أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات".**

**والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين:**

**أحدهما: أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل، واللون، ونحوهما.**

**والثاني: أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يُراد غيرها.**

**ويضرب مثلًا للأول، بقول بعض الشعراء:**

|  |
| --- |
| **والشمس كالمرآة في كف الأشلِّ** |

**وللثاني، بقول ابن المعتز:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وكأنَّ الْبَرْقَ مُصْحَفُ قَارٍ** | **\*** | **فانْطِبَاقاً مَرَّةً وانْفِتَاحاً** |

**ويرسخ عبد القاهر لقاعدة أنه كلما كان التفاوت في الجهات التي تتحرك أبعاض الجسم إليها أشد؛ كان التركيب في هيئة المتحرك أكثر، فحركة الرَّحى، والدولاب -الساقية- وحركة السهم، لا تركيب فيها؛ لأن الجهة واحدة، أما حركة المصحف فمركبة؛ لأنه في كل حالة من الحالتين يتحرك إلى جهة مختلفة.**

**ويعجب عبد القاهر من غرابة هذا التشبيه، وتشبيه المرآة التي سبقه، فيقول: "إن هيئة الحركة قد تُلاحظ مع السكون، وللشعراء في ذلك طرائف وغرائب".**

**ويضرب المثل بقول بعض الشعراء:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **كأنه عاشق قد مدَّ صفحته** | **\*** | **يوم الوداع إلى توديع مرتحل** |
| **أو قائم من نعاس فيه لوثته** | **\*** | **مواصلًا لتمطيه من الكفن** |

**ويعقد بعد ذلك فصلًا؛ لبيان الفروق بين التشبيه المركب والتشبيه المتعدد الطرفين، مبينًا أن طرفي التشبيه في الأول، هيئة حاصلة من عدة أمور، بينما هي أمور متعددة متقابلة في التشبيه الثاني، كقول امرئ القيس:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **كأن قلوب الطير رطبًا ويابسًا** | **\*** | **لدى وكرها العناب والحشف البالي** |

**فإنه شبه الرطب الطري من قلوب الطير بالعناب، واليابس المتقادم منها بالحشف البالي، وهو أسوأ أنواع التمر، وليس في التشبيه هيئة ملاحظة في أطرافه.**

**ويضرب لهذا التشبيه المتعدد مثلًا آخر، وهو قول المتنبي:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **بدت قمرًا وماتت خوطبان** | **\*** | **وفاحت عنبرًا ورنت غزالا** |

**ويضرب المثل أيضًا للتشبيه المركب، الذي يمكن تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه، بما يُقابله من الطرف الآخر، بقول أبي طالب الرقي:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وكأن أجرام النجوم لوامعًا** | **\*** | **دُرَرٌ نثرن على بساط أزرق** |

**فإن تشبيه النجوم بالدرر، وتشبيه السماء بالبساط الأزرق تشبيه مقبول، ولكن ليس هذا مراد الشاعر، إنما مراده أن يريك الهيئة التي تملأ القلب طربًا من طلوع النجوم، مؤتلفة متفرقة في صفحة السماء، وهي في الوقت نفسه زرقاء زرقة صافية، وبجانب هذا النوع من التشبيه المركب، تشبيه ما لا تقبل أجزاؤه التفريق، كقول القاضي التنوخي:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **كأنما المريخ والمشتري** | **\*** | **قدامه في شامخ الرفعة** |
| **منصرف بالليل عن دعوة** | **\*** | **قد أُسرجت قدامه شمعه** |

**ويعمد عبد القاهر إلى بيان فرق دقيق بين التمثيل والتشبيه العادي، ذلك أنك في تشبيه المفردات، تستطيع أن تعكس التشبيه للمبالغة، فتجعل المشبه مشبه به، والمشبه به مشبهًا، كأن تُشبه النجوم بالمصابيح، والورود بالخدود.**

**أما إذا قُصد إلى الجمع بين شيئين في مطلق الصورة، والشكل، واللون، فإنه حينئذ لا يحسن العكس ولا القلب، كما يبحث عبد القاهر في الفرق بين الاستعارة والتمثيل، ويلاحظ أن الاستعارة يُنقل فيها اللفظ عن أصل وضعه اللغوي، وأنها تقوم على التشبيه المقصود به للمبالغة، كما يلاحظ أن التشبيه يدخل في الحقيقة.**

**أما الاستعارة فتدخل في المجاز، إما عن طريق اللفظ المنقول عن أصله في مثل كلمت أسدًا، أو عن طريق الصفة المضافة إليه في مثل أنارت الحجة، ويقول: إن الاستعارة لا بد لها من قرينة، فإنك إذا قلت: رأيت أسدًا، صلح هذا الكلام، بأن تريد به أنك رأيت واحدًا من جنس السبع المعلوم، وجاز أن تريد أنك رأيت شجاعًا باسلًا شديد الجرأة، وإنما يفصل لك أحد الغرضين من الآخر شاهد الحال، وما يتصل به من الكلام من قبل ومن بعد.**

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**